الفصل الثاني

عاصفة في البحر

تابع الأسطول ابحاره متقدماً بانتظام
نحو الأرض المقدسة المصابة بالويلات
وبسرعة جاز بيكون وبثبات
نحو عكا في داخل البحر المفتوح
للالتحاق بسفن النقل التي أبحرت
لكن رأينا وقتها توقف الرياح الطيبة
لذلك كان على الملك مسروراً الانعطاف عائداً
وتوجب عليه تلك الليلة التوقف ، لانعدام
الريح ، مهما وقع من أمر وحدث فيما بين كالبير ومونتغبل Montgibel
١١ نيسان ١١٩١ ثم في يوم عيد خميس العهد (الغسل)
والذي أخذ الرياح وأخفاها
إنه هو الذي يمكنه أن يعطي وكذلك أن يأخذ
قام عن طواعية بإعادة الرياح
وأعارنا إياها طوال النهار كله

لكنها كانت ضعيفة ، ولهذا فإن السفينة

القوية والغنية توجب توقفها

١٢نيسان وفي يوم عبادة الصليب

ضربتنا رياح معاكسة هناك

من اليسار، وكانت شديد عند فياري Viaires (رأس سبارتفنتو)

وجاش البحر من الأعماق واضطرب

وتضاعفت الهبات الشديدة في قوتها

وانحنت الأمواج تحت قوتها

١٢٢٠ — ولهذا لم نفعل شيئاً سوى أننا فقدنا مسارنا

وتملكنا الخوف وأصبنا بالغثيان

وضربتنا الآلام في الفم والقلب والرأس

وصحيح أننا عانينا من شدائد كثيرة

لقد عانينا منها عن طواعية

وصمدنا وصمودنا كان مسوغاً

وكان ذلك من أجله هو الذي تفضل

فتحمل في هذا اليوم الآلام

في سبيل أن يضمن خلاصنا

وكانت العاصفة قوية حتى دفعتنابعيداً

١٢٣٠ — حتى حلول المساء

ووقتها لقينا ريحاً طيبة
مواتية جداً ، وجميلة ، ولطيفة

الابحار الى رودس

فعل الملك رتشارد أفاعيل جيدة
وكان نحو الخير سريعاً ومتدفقاً
وكان من عادته كل ليلة
أن يضع على سفينته اضاءه
مصباح مشتعل يرى
بوضوح كبير وبشعاع لامع
ويظل مشتعلاًطوال الليل حتى طلوع النهار
١٢٤٠ — ويري السفن الأخرى طريقها .
وكان معه بحارة جيدين
عناصر صامدة ، وبارعة في حرفتها
واتجه الجميع نحو مصباح الملك المضيء
ونادراً ما رفعوا أنظارهم عنه
واذا صدف وضلت سفينة وتاهت
بكرم أوقف الملك سفينته
وهذا الاسطول العظيم بسفنه ورجاله
قاده ، مثلما الدجاجة الأم

تقود صيصانها نحو الطعام .
هكذا كانت فروسيته الأهلية
وطوال تلك الليلة أبحرنا ، متحررين
من سوء الطالع ، ومن الأذى
١٣نيسان وعشية عيد الفصح ، الذي سيكون غداً
الرب قادنا من دون حزن أو أسى
وتلك الليلة أيضاً ، وبدون تأخير
١٤نيسان وكذلك طوال يوم عيد الفصح
ولمدة أيام ثلاثة كاملة تقدم الاسطول مسرعاً
ولم يتباطىء الابحار أو تنخفض السرعة مطلقاً
الملك نفسه تولى قيادة الاسطول
١٧— نيسان ويوم الأربعاء غدونا على مرأى من كريت
وتوجه ملك انكلترا نحو اليابسة
ليطوق الجزيرة، وليكون على مقربة من الشاطىء.
هناك ومعه اسطوله أقام
لكن خمساً وعشرين مركباً ضاع
تلك الليلة، وجرفوا بعيداً عنا
مما أزعج الملك وأغضبه
وبالأسى وبالحزن تمزق

وتحركت الأشرعة في الصباح

١٨— نيسان و أبحرنا نحو رودس — وكان ذلك يوم الخميس —

١٢٧٠ — وهي جزيرة أخرى لم تكن بعيدة.

وكانت الرياح قوية، والأمواج عالية

وكانت سريعة وبقدر ماتعاظم حجمها طارت

وهكذا سارت السفن مسرعة وبصوار فيها انحناء

والرب قادنا مسرعين بشكل رائع

وعلى طول ساحل رودس أبحرنا

مع رجل بحار لم يخفق قط

علامته أنه بسرور نظر

إلى الطريق الذي أخذه شعبه.

وهكذا مضينا — والحقيقة هي ما أرويه —

١٢٨٠ — مسرعين حتى حل ظلام الليل.

ووصلنا في صباح الغد إلى

مضيق، دخلناه وسرنا به نزولاً

وتملكت أشرعتنا راحة من الرعب

٢١— نيسان وبقينا هناك حتى مضى يوم الأحد

وإلى رودس وصلنا عند الصباح

وهي المدينة التي فيها ولد هيرود

هم توقفوا في رودس ثم تابعوا نحو أضاليا

كانت رودس بلدة هائلة جداً
وقديمة، وآثارها مشهورة
وكادت أن تكون نظيرة لروما، مع أنه
١٢٩٠ — من الصعب معرفة الحقيقة كاملة.
فكثير جداً من سكانها اندثروا
وخرائب، وأسوار، وأبراج كانت مشعثة
وعدد كبير من الكنائس قد بقي
وكثير جداً من الناس سكنوا هنا وعاشوا
سنيناً كثيرة، وكذلك أجيالاً عديدة
وفي وسط مثل هذه المقاطعة الموزعة
لا يمكن لانسان أن يحصي ويدون
من دون انزعاج كبير جداً.
فأوجه أصالتها وعظمتها
١٣٠٠ — تداعت ولفها الاهمال
ومع هذا ما يزال يعيش هناك
أناس باعونا طعاما وأعلافاً
وبما أنه صدف أن كان الملك
مريضاً ويعاني بعض الشيء

وافقت حاجاته التوقف في رودس
وجهد في البحث وليعرف
فيما إذا كانت سفنه الضائعة قد ذهبت.
وغلاييته التي أشرف عليها
تبعته وسارت على مقربة منه إلى اليابسة
وسأل هنا، وتقصى الأخبار
حول الملك الطاغية الذي حكم
جزيرة قبرص، والذي احتجز
الحجاج هناك، وعشرة أيام أمضينا
في رودس، ثم، عندما مضينا نحو الأيام
١ أيار ١١٩١ كان ذلك في اليوم الأول من أيار
فيومها أقلع الاسطول وسار على طريقه
من رودس، بأشرعة منشورة للهواء
مباشرة نحو خليج أضاليا
حيث الممر مخيف مرعب
ولا يوجد أسوأ منه في أي مكان
فهناك أربعة بحار تتحارب بشكل دائم
وكل واحد منها ينازل الآخر
وما أن أعددنا أنفسنا لدخول

الخليج، حتى هبت ريح عنيفة جدا
وساقتنا إلى الخلف، وإلى حلول المساء
كنا ما نزال عند نقطة دخولنا
ثم غيرت الريح اتجاهها، ومثل هذا التغيير غالبا ما يحدث
وبلطف سبلها لانت
ثم من الخلف بشدة وجهت ضربة
نحونا جعلتنا نمتلىء بالرعب
لأن الخليج الذي كنا فيه
أعطانا من الرعب الشىء الكثير

سفينة تحمل أخباراً من سورية

وتولت سفينة الملك قيادة الطريق
حسبما كانت العادة كل يوم
وتطلع الملك نحو البحر الهائل واستطلع
فراى بارجة تقترب من حيث كان
وكانت عائدة من سورية
وبما أنه اشتاق كثيرا نحو سماع الأخبار
اقترب منها ليطلب
الأخبار عن الأرض المقدسة ومنها .
وقد أخبروه بأن ملك فرنسا

- ١٣٠١ -

قد رسا ونزل اليابسة بدون أذى

وهو عند عكا ينتظره هناك

وفي كل يوم يعمل لاعداد

آلات حرب ليأخذ بها المدينة

وفكر الملك رتشارد وخطط لإعداد

خطة مختلفة ورسمها في ذهنه.

أما الآن والبارجة تركت وعنه كثيراً ابتعدت

واصطرع الملك الآن مع الرياح

١٣٥٠ — حتى أذن الرب له بالوصول

إلى أمام قبرص، واقترب من اليابسة،

فالرب قد ألقاها بين يديه.

ووجد أخته وعروسه

كانتا هناك، وكذلك جميع رجالها.

طاغية قبرص الغدار

أصغوا إلي، يا سادتي، واسمعوا كم من المعاناة

وكم من الاحباطات الهائلة

وكم من الاضطرابات، والعواصف، وغرق السفن

وكم من النكسات والحملات

وكم كانت الرغبات عظيمة، والمآ سي هائلة

١٣٦٠ — وكم من الفواجع والنوازل الكبيرة
تحملته أرض سورية هذه
قبل ضمان انقاذها
وكان الألم بلا حدود من أجل
خسارة الامبراطور الألماني
الذي إلى هناك توجه بأبهة كبيرة
فقط ليموت هكذا بشكل مفاجيء
وامتحنت الأرض المقدسة بشكل مؤلم
عندما هنري، ملك انكلترا، مات
هنري الجيد، الذي كان حكيماً جداً
١٣٧٠ — وامتلك ثروات وامكانات كبيرة
كافية لتمكينه من الاستيلاء على جميع
البلاد، وانقاذ بلدة صور.
وقد كان مصدراً لمزيد من المتاعب
عندما مات وليم، الملك الجيد
الذي في غالب الأوقات جلب إليها العون
وعندما توفي، قام حزن عظيم ومناحة عليه.
وألم بالمملكة سوء حظ عظيم وكوارث
من مآسي مثل هذه وحظوظ عاثرة

لكن ما من أحد سبب لها من الأحزان العظيمة
والعذاب والتعاسة والشقاء
مثلما جاءها مرسلاً من قبرص
وهي جزيرة غنية قريبة من ساحل سورية
للمملكة بعثت بكثير من العون فيما مضى
لكن الآن لم يعد يأتي شيئاً من تلك الجزيرة
لأن طاغية الآن سكن فيها
مع كل الشرور والمساوىء وتعامل
بالغدر والفساد والخيانة وكان
أسوأ من يهوذا أو جنلون
وعن جميع المسيحيين تخلى ولهم هجر
ولصلاح الدين اتخذ لنفسه صديقاً.
وعنهما قيل وبمثابة حقيقة روي
أنهما وقّعا فيما بينهما ميثاق صداقة.
بشرب كل واحد منهما لدم الآخر
وقد تبرهن أن هذا ليس زيفاً ولااختراع
وسواء أكانت دولته امبراطورية أو ملكية
من المتوجب حقاً تحويلها إلى دمار
وهو نفسه أن يدمر ويحطم

فهو إن لم يوقف، بدون ضبط أو ربط
لقوى الشر سوف يثير
١٤٠٠ — وسيصيب بالطاعون الرعايا المسيحيين الطيبين عند الرب

محاولات لأسر الملكتين

من مراكب رتشارد التي تفرقت
ثلاثة ألقيت هنا على الساحل وانشطرت.
الذين نجو من غرق السفن و
وسط المخاطر شقوا طريقهم نحو اليابسة
أمر بانتزاع أسلحتهم منهم ثم جعل
منهم أسرى لديه ومغدور بهم
لأنه من خلالهم ضمن لنفسه
السلامة، لكن لمدة وجيزة من الزمن
لأنه هنا الذي افتقر إلى الصدق وإلى الشرف
١٤١٠ — عرضهم مباشرة للهجوم والحملة عليهم.
غير أنهم دافعوا عن أنفسهم بثبات وبشجاعة
وباعوا بالحقيقة غضبهم بثمن مرتفع جداً
فكل واحد من ثلاثة منهم كان لديه قوس واحد
لم يعلم به الاغريق السفهاء.
وكان هناك رودن دي هيردكورت Herdecourt

رجل الملك، وواحد من أعضاء بلاطه.
الذي على ظهر مهر منهك امتطى
وبسرعة قطّعهم وأنقص تعدادهم
ووليم دي بوي Bois وهو نورماندي كذلك
وكان رامياً ماهراً، رمى بنشابه بشكل جيد
فطعنهم وأصابهم بالوجه وبالظهر
ما من آلة، كان يمكنها احداث خوف أعظم.
وهكذا، شقوا بشكل علني طريقهم
إلى حيث السفن كانت راسية بالميناء
فإلى هناك كانت الملكة قد جلبت
وهناك كانت معركة هائلة قوتلت.
وقاتل الأسرى ببسالة.

وصول رتشارد لمقاومته

وعندما علم الملك بهذه الخيانة
أمر بالتوقف في الميناء، وعندما عرف
بالأذى الذي لحق برجاله
ورأى مركب أخته، حيث
انتظرت وصوله في خوف عظيم
ورأى الرصيف كله قد غطي من

قبل هؤلاء الاغريق الحقراء والجبناء
وهم يريدون اقتراف المزيد من الكفر، فمنعهم
وعلى الفور نزل إلى الشاطىء
الذي فكر الطاغية بالدفاع عنه
لكنه لم يتجرأ على مواجهة الملك الأبي
٦— أيار ١١٩١ صباح يوم اثنين كان هو التاريخ
١٤٤٠ — الذي تفضل الرب بتعيينه
للملك ليقوم بتنفيذ هذه الأفاعيل
لينقذ السفن الجانحة في وقت حاجتها
وليحفظ أخته من المساوىء
وليتولى تحرير عروسه.
وكان مكروهاً لكل واحدة من السيدتين
اليوم الذي وصلتا فيه إلى هذا الميناء
لأنه كان مؤكداً أن الامبراطور سوف
يعتقلهما معاً لو أنه فقط استطاع.
وخطط الملك لمهاجمة الميناء
١٤٥٠ — وبيسر كان سيستولي عليه لولا أنه لم يخل
من مدافعين، لأن الامبراطور
نفسه جاء إلى الساحل نازلاً

مع جميع أعوانه وكل
من استطاع أن يستأجره أو يأمره.

وأهين من قبل الامبراطور

واختار الملك رسولاً
وجعله يجذف باتجاه الشاطىء مباشرة
وإلى الامبراطور توجه، ومنه
طلب بكل لطف وأدب
أن يعيد كل ما هو عائد
١٤٦٠ — إلى الأسرى وأن يعوض عن الأضرار
التي ألحقها بالحجاج
والتي جلبت الدموع لكثير من اليتامى.
ورد الامبراطور بازدراء واستخفاف
كان عظيماً إلى حد أنه فاق كل التحمل
وأجاب الرسول
بغضب غير ملجوم قائلاً: «Tproupt sir »
ولم يكن يرغب في أن يعطي جواباً ألطف
بل غضب وسخر واستهزأ
وعندها على الفور عاد الرسول مسرعاً
١٤٧٠ — إلى الملك وأخبره بما قيل.

وسمع الملك الكلمات القبيحة، ثم التفت
نحو رجاله وقال: «سلحوا أنفسكم»
الأمر الذي نفذوه جميعاً على الفور
دونما توقف أو تأخير طويل.
وتوجب الآن في القوارب الصغيرة لسفنهم
ايداع أنفسهم، وهم شاكي السلاح
وملئت القوارب بفرسان جيدين
وبرماة الجروخ البواسل والبارعين
ومثل هذا حمل رجال عدونا قسياً عقارة
١٤٨٠ — واصطف رجاله واتخذوا مواقعهم على الساحل
وكان لديهم خمسة غلايين، أيضاً، وكانوا
مسلحين وجاهزين للقتال.
لكن لدى رؤيتهم لسلاحنا، غير مأمونين
شعروا، وخافوا من سوء المنقلب.

تحقيق الانكليز لإنزال بالقوة

في ليماسول، بلدة قائمة هناك
تأصل القتال وهناك اندلع
ولم تكن نافذة أو بوابة هناك تركت
أو سلاح مناسب للمتطوعة

أو برميل أو وعاء أو ترس أو دريئة
أو غليون قديم، أو بارجة عتيقة
أو لوح أو عارضة خشبية أوسلم أو قطع من أي نوع
كان بإمكانهم ايجادها متوفرة للنقل
إلا وجلبوها إلى الساحل
بقصد ايذاء الحجاج بالقدر الممكن
واصطفوا مسلحين على الرصيف، وشعروا بفخار تجاوز
شعور أي انسان يعيش في الكون
وكان معهم أعلام خفاقة وصفوف
من المعدات الثمينة والأشياء الزاهية
وامتطوا خيولاً قوية وسريعة
أو على بغال جميلة أو مهرة
ومثل الكلاب نحونا نبحوا ومنا سخروا
لكن فخارهم بسرعة اختفى
ومن البداية كنا نحن معاقين
لأننا من البحر جئنا مباشرة سائقين
وأرسلنا بقوارب صغيرة جداً ، لابل صغيرة الى أبعد الحدود
وبجيشان البحر مزقنا
وقذفنا وتأرجحنا الى هنا وهناك وأنهكنا .

وكل واحد منا على قدميه ، انحنى

١٥١٠ — بثقل سلاحه ومعداته

وكانوا هم في بلادهم

لكن بالحرب كنا نعرف أكثر منهم كثيراً

وأقواسنا العقارة أصابت مقاتليهم

وكثير منهم لم ينج منها ، أنا عرفت .

وعلى الغليون رجال ، غير مدربين

على الحرب ، في البداية أمطروهم بنشابهم

وجرحوهم وآلموهم كثيراً وطعنوهم

حتى أن كثيرين قفزوا من قواربهم

الى الماء ، أربعة فأربعة

١٥٢٠ — وكل واحد منهم تعثر بالذي قبله

ثم قلبت غلاييهم

واستولي عليها وشغلها رجالنا

ورماتنا ومثلهم رماة الجروخ

أرسلوا سحائب من النشاب على أعدائهم

ونكص الاغريق على أعقابهم أمام الرمايات

ووقتها كان عليك أن تسمع جندنا وهم يسخرون

منهم ، مثلما سخروا منا قبل وقت قصير مضى

قبل أن نبدأ هجومنا
وعلى كلا الجانبين رمى الجند وقذفوا
نشابهم فيما تابع مجذفونا الاندفاع
بثبات ، بينما سحابة كثيفة وسريعة
من النشاب والجروخ نحوهم رميت
وكل الشاطىء على طول الرصيف
امتلأ بأناس متوحشين وهمج
وأعمال جريئة كان بإمكانك
أن تراها ، وأن ترى مقاتلين بارعين في القتال
وعندما رأى الملك كم من الأذى لحق
بجماعته ، كان على وشك أن يضع قدميه
على اليابسة ، ومن قاربه قفز
الى البحر ، وبقوة طعن
الأغريق ، وسار البقية بعده
وتبعوه . وقام الاغريق بالدفاع
وانصب رجالنا وعلى طول الشاطىء انتشروا
يضربون الاغريق ويلحقون بهم الهزيمة .

تمزق الاغريق

ثم هل رأيت انهيار النشاب

والاغريق وقد تمزقوا وقتلوا
وبشدة شديدة صدموا وبقسوة ضربوا
والى داخل البلدة سيقوا وأبعدوا
وعساكرنا مثل الأسود بسرعة طاردوهم
١٥٥٠ — وللرجال وللخيول قطعوا وبتروا .
وأمام شعب اللاتين الشجعان
الاغريق والأرمن هربوا وانسحقوا
حتى الى الحقول انهزموا فارين
وطاردهم رجالنا عن قرب وساقوهم
والامبراطور نفسه ، الذي انهزم
تبعه الملك مباشرة ولاحقه
حتى ، توقف في طريقه وهو يطارده
فقد جاء على ظهر فرس أو حصان
على ظهره بدلاً من السرج حقيبة
١٥٦٠ — وركابات من الخيش امتلك الفرس العجوز .
وبقفزة ، تجاوز السرج وتخطاه
والى الامبراطور المزيف صرخ وقال :
« تعال أيها الامبراطور ، وقارع ، تعال مسرعا»
لكنه للقراع لم يكن لديه مزاج

وطاردهم في التلال

وأعطى الملك الأمر بالترجل من على
ظهور جميع الخيول ، بعد حلول الظلام
وأمر بجلب جميع غلايينه
وعن الامبراطور كان لا يعلم شيئاً
ولم يدر لأي طريق سلك
١٥٧٠ — ثم تركت الخيول للرعي والاستراحة
لأنها كانت كلها منهكة ومعقورة
ومتيبسة بسبب الشهر المتقدم كله
الذي أمضوه فوق ظهر البحار
حيث لم يكن بمقدورهم الاضطجاع بحرية
وبهذه الاستراحة القصيرة ، كل متاعبهم
بدأت تزول ، وأخذوا يعودون الى طبيعتهم
وفي الصباح مباشرة امتطى الملك حصانه
فهو الذي تولى هذا الأمر شخصياً
وفي داخل بستان للزيتون ، على محاذاة
١٥٨٠ — طرف الطريق ، ليس بعيداً كان هناك حشد
من الاغريق واقفين ومعهم أعلامهم
ورایاتهم من مختلف الأشكال والأنواع .

ومن هناك طردهم الملك ، ثم وضع
على رأسه خوذة من الفولاذ
وسريعاً أخذ بالمطاردة
ثم كان بإمكانك أن ترى رجال شجاعة وصدق
يطاردون عن قرب من قبل طلائعنا
وقد فروا ، وضغطنا عليهم بسرعة وشدة
حتى تصادم رجالنا مع
١٥٩٠ — حشدهم الأساسي ، وطاردناهم ، وهربوا
ووقتها أوقفنا مطاردتنا
وهم بدأوا بالصراخ والنباح
وصاحوا وأصدروا صخباً عالياً
(فهذا ما أخبرنا به الذين سمعوا الأصوات)
إلى حد أن الامبراطور في خيمته
سمع — كما قيل — الصراخ والعويل
من مسافة تزيد على نصف مرحلة
مما جعله ينسحب ليقيم
وتغدى ونام بينما استمر الصراع
١٦٠٠ — لكنهم بجرأة انقضوا عليه
فقام وصحبه بامتطاء الخيول

والى الجبال توجهوا وركبوا الطريق
ليروا فقط ما كان بإمكان رجالهم أن يفعلوا
وهم الذين عرفوا الرماية ولم يعرفوا شيئاً آخر .
وظلوا يصرخون ، وحول الحلبة يدورون
ورجالنا لم يتحركوا من مكانهم

رتشارد يطارد دون مبالاة بالمخاطر

والى الملك جاء كاتب غير مسلح
هيوج دي لى مير، كان اسم الكاتب
والى الملك أعطى نصيحة ، مولاي
١٦١٠ — قال له : ابتعد من هنا ، وتراجع
إن لديهم قوة عظيمة تتجاوز التعداد
وقال الملك : الى دفاترك
عد أيها السيد الكاتب ، ابتعد واكتب
واجعل نفسك نائياً عن القتال
ودع لنا أمور الفروسية والنضال
من أجل الرب ومن أجل القديسة مريم
هكذا قال هذا الرجل مع آخرين
لدى رؤيتهم الأعداد بهذا العدد الهائل
لأنه في تلك الساعة وقف أمام ذلك الحشد

أربعين فقط ، أو إذا بالغنا قلنا
خمسين ، من الفرسان الجيدين وراء الملك
ولم ينتظر الملك الشجاع أن يُهاجم
بل انقض عليهم بإندفاع
أسرع من ضوء أي برق .
مثلما ينقض على قنبرة طائر صيد
(وكل من رأى الانقضاض ذلك اليوم أثنى عليه.)
وهكذا انقض الملك واندفع نحو الأمام
وطعن الحشد الأغريقي الشرير
ومزق وفرق جمعهم
ورماهم بالرعب وضربهم بالفزع
وسبب لهم الفوضى واليأس
وفي الوقت نفسه تجمع رجاله هناك
ومع ازدياد قوته بالعدد
أسروا كثيراًمن الأغريق أو قتلوا
ودون احصاء للذين بدناءة فروا
ما من انسان يمكنه أبداً أن يحصي القتلى
لأن الذين منهم كانت لديهم خيول
صعدوا تلالاً وهبطوا وديااناً دونما توقف

في حين الرجّالة ، الجماعات المتواضعة والبسيطة

١٦٤٠ — أخذوا جميعاً أسرى ، أو قتلوا

الاستيلاء على العلم الامبراطوري

وكان القتال شديداً ، وحيثما ذهبت

كانت هناك خيول ملقاة على الأرض .

ودروع وأعلام ، ورماح وسيوف

ملقاة هنا وهناك ، شذ ر مذر فوق سطح الأرض

بينما تمايلت خيول محملة وتأرجحت ووقعت

ولدى رؤيته أن رجاله لن يستطيعوا ايقاف

حملتناوأن أكثر فأكثر

قوتنا ازدادت ، الامبراطور

الى ذروة الجبل انسحب

١٦٥٠ — مع طا قمه من الأغريق والأرمن

متخلين لنا عن البسائط

وعندما رأى رتشارد ملك انكلترا

أنه هكذا فرّ وهرب

تاركاً عساكره في مأزق صعب

أقدم الملك على الرجل الذي حمل

راية الامبراطور

وضربه فألقاه أرضاً ، وتلقى بيده
الراية ، وأصدر أوامره
بأن تحرس بكل عناية
١٦٦٠ — ورأى قواتهم المقهورة تنهزم
مثل ذبابات في وسط العاصفة ، وكثيراً من الرؤوس
وكثيراً من الأجساد المجروحة تنزف
ولم يعط أمراً بالمطاردة :
فقد عرف ، أنه لن يستطيع أسرهم
وكان فرنجتنا شجعاناً وأقوياء
قد طاردوهم مرحلتين كاملتين

الأسلاب الثمينة

ثم ببطىء عاد أدراجه ، وعطف
طريقه ، أما جنده فلم يتوقفوا
عن الاستيلاء على صحون ثمينة
١٦٧٠ — من الذهب والفضة ، غالية ، ومزينة
تخلى عنها الامبراطور
وكانت هناك خيمته المضروبة من قبل :
وفيها جهازه وثيابه وفراشه الشخصي
وكثير من الملابس الحريرية وأقمشة لونها أحمر

وخيول وبغال محملة الى أبعد الحدود
وكأنها كانت سوق البلدة
وهناك كانت دروع وخوذ وسيوف أيضاً
ملقاة جانباً هنا وهناك
وثيران وأبقار، وماعز ،و أوز
١٦٨٠ — كلها حيوية ، وجميلة ورائعة
وأكباش وشياه وخرفان كانت هناك
وكثير جداً من المهرة والأفراس
والديوك والدجاج وديكة مخصية سمينة
وبغال سمينة تماماً قد حملت على
ظهورها القوية ألحفة جميلة مطرزة
وثياباً ذات مظهر جميل وثمين
وخيول جيدة تساوي أكثر بكثير
من خيولنا،لكنها الآن منهكة ومعقورة
ومثل هذا أسروا ترجمانه
١٦٩٠ — الذي اسمه — كما سمعت — جون
واغريق وأرمن بأعداد كبيرة
حتى أنهم أعاقوا الطرق العامة
وخمور جيدة وأطعمة بكميات هائلة

مامن أحد قادر على احصائها أو الحديث عنها.

وأمر الملك باعلان منع وتوقف

وأعطى الأمان بالطول والعرض

لجميع الناس سكان البلاد

الذين ليس لديهم رغبة بالحرب،و

الى الذين ليس لديهم رغبة بالسلام

١٧٠٠ — لم يعدهم لابهدنة ولابكف عن القتال

قدوم الملك غي من سورية

١١—أيار ١١٩١في يوم السبت من ذلك الأسبوع نفسه

الذي أحلّ بالاغريق الويلات الهائلة

وصل الى ليماسول ثلاثة غلايين

من قبرص عائدة بطريق البحر

مع ملك القدس

وعدد كبير من شعبنا حدقوا به

إنه غي لوزغنان،فهو كان الملك

الذي عانى كثيراً من الآلام والمصاعب

للدفاع عن أرض ربنا ومولانا

١٧١٠ — وقد توجب عليه مغادرتها أخيراً

لأن ملك فرنسا كان يسره—

الأمر الذي سبب لقلبه الكثير من الآلام—
الاساءة إليه وطرده وخلعه
والى المركيز أن يعطي التاج
ولهذا ترك البلاد وفرّ
والى ملك انكلترا باردمسرعاً
لينقذه،خشية أن يسقط
وكان الملك مسروراً أنه جاء
وعلى الفور مضى للقائه واستقباله
١٧٢٠ — ويمكنك أن توقن تماماً وتعرف
أنه استقبله بكل حرارة
لأنه كان من أسرة عظيمة
وحمل أقرباؤه كثيراً من الأسماء النبيلة
وكانوا معه عندما جاء
وكان واضحاً تماما
أنهم لم يكونوا من أصل دنيء
وأظهر الملك سروره بقدومه بشكل واضح جداً
وأكرمه وشرفه بمختلف الأنواع
وأعطاه من ممتلكاته
١٧٣٠ — (وصدر ذلك عن حكمة ولطف زائد)

كما أعتقد،ألفي مارك تماماً
(وهي هدية ليست ذات قدر صغير)
وأعطاه عشرين كأساً،كما أخبرت
اثنتان منهن صنعتا من الذهب الخالص

زواج رتشارد من بيرنغاريا

١٢—أيار وفي اليوم التالي لذلك اليوم
كان زواجه من عروسه الجميلة
وحدث في ليماسول أن جرى تتويج
أجمل عروس يمكن أن توجد
في أي وقت وفي أي مكان
١٧٤٠— ملكة فاضلة مع وجه جميل
وبات الملك الآن الأكثر روعة
لأنه كان المنتصر
ولأنه تزوج من الفتاة
التي كرس لها حياته وعاهدها بلسانه

رتشارد ينظم قوته

والآن وقد جاءت غلاييننه،التي
انتظرها بفارغ الصبر
وظهرت وهي مسلحة بشكل جيد

حتى أننا لم نر لها نظيرا
وكان مع السفن الأخرى،الخمس
التي ربحناها،ومعهم وصلت
ومع الأخرى التي كانت في الميناء
والتي التجأ إليها التجاء كاملاً
سلح من السفن أربعين سفينة تماماً
ساوت بالقيمة خمسين سفينة،وربما أكثر
واستولى فيما بعد على السفينة
الرائعة مع طاقم بحارتها الكبير من الرجال الشجعان
وكان تعدادهم ثمانمائة رجل،فهكذا قدروا
وكانوا جميعاً من الترك والفرس،غير معمدين
وأردا الملك انزال المزيد من ضرباته الغاضبة
على الأرمن الملعونين والاغريق
وأعد حشده للقتال
وطلب من حراسه الحراسة أثناء الليل
على أمل أسر الامبراطور
في قلب أملاكه الشخصية

الامبراطور يتوسل للسلام

بعد هذه المتاعب وإثرها

- ١٣٢٤ -

عندما تحمل الاغريق عاراً عظيماً
كان الامبراطور في نيقوسيا
هو شخصياً ومعه جماعته الكبيرة
وقد أصيب بحزن عظيم،وبغضب،واذلال
١٧٧٠— لأنه فقد جميع رجاله في القتال
ولأن قواته هربت وفرت
ولم يجد مواساة
فقد نظرت بلاده إليه نظرة كراهية
وكان خوفه من ملك انكلترا عظيماً
ولهذا بعث إليه برسول
يعده بتقديم تعويض.
وأكد أنه سيقدم إليه
وسوف يقسم بلسانه على الولاءله
والى سورية سوف يرسل
١٧٨٠— مساعدة أعدها للملك هي خمسمائه
رجل من الخيالة،سوف يقفون بثبات
في سبيل الرب،وسيطيعون أوامر الملك.
وزيادة على هذا وافق
على إعطاء الملك المزيد من الضمانات

من ذلك ضمانة وضع قلاعه تحت تصرفه
ومعها ميراثه الغني
وتعويضاً عن الرجال الذين قتلوا أثناء الاضطراب
سيدفع ثلاثة آلاف وخمسمائة مارك.
وإذا ماأطاع أوامر الملك وخدمه
١٧٩٠— بأمانة،سوف يسترد منه بلاده.

إقسام أيمان التبعية لرتشارد

ولم يكن الملك غير مهتم بالصفقة
وكذلك مثله كان الامبراطور،وكلاهما
حددا بسرعة موعداً ومكانا
حيث يمكن خلاله وفيه التباحث
وكان المكان بستان تين وقع
فيما بين الشاطىء والطريق العام
المؤدي الى ليماسول،كما يبدولي
وهناك اجتمعا مع وفدين كاملين
وكانت هناك مسائل قيل عنها وأخبر
إنها أفضل مما كان قد أنجز
١٨٠٠— وجمع الملك اليه مستشاريه
تشاور مع أكثر رجاله عقلاً وحكمة

وقال للذين جلسوا هناك
والذين كثيرا رغبوا بمثل هذا السلام وإليه تطلعوا:
« سادتي اللوردات أنتم ذراعي الأيمن.انظروا
فيما إذا كان مثل هذا الاتفاق ممكناً
وانظروا أن ذلك لن يلحق ضرراً
بشرفكم،الذي هوهنا موضع رهان
لأنه إذا كان يرضيكم،سوف
١٨١٠— يتم،لكن لن يكون إذا ابدا لكم سيئاً».
فقالوا:«مولاي،نعتقد أنه جيد
وبوساطة مثل هذا السلام نحن مشرفون»
وبناء عليه عادوا،وفي الحقيقة
وافقوا على جميع شروط السلام.
والى الملك،الامبراطور
أقسم الآن يمين الولاء
وأعطاه ضمانه،وبوقار
قبله قبلة الولاء والاخلاص

وتلقى الهدايا

وقام الملك بتعويض الحشد
١٨٢٠ —الذي تضرر،وكان على الفور هناك

وأعطى وعداً صادقاً أنه سيضاعف ثلاث مرات ثرواته
والخيام الثمينة جداً،التي
استولى عليها أثناء الهزيمة
التي أنزلت بالاغريق الأدنياء
(وكانوا من أفخر القماش،كما كانوا
كما أعتقد،خيم الامبراطور الخاصة)
وصحون ثمينة بكميات هائلة
أرسلهم برفق كبير وبحكمه
الى الامبراطور،الذي لم يستخف أبداً ولم يرفض
١٨٣٠ —الصحون،وأعاد الخيم
الى البقعة التي كانوا فيها قبل
المفاوضات التي عنها تحدثنا.

الامبراطور يهرب بغدر

في ساعة صلاة المساء نفسها
عندما اتخذوا قرارهم حول هذا السلام
حدث أن كان لدى الامبراطور بين رجاله
فارس صاحب لسان شرير
كان اسمه بيان أوف كيفاس (صاحب حيفا)
أقذر من كلب كان

لقد جعل الامبراطور يعتقد أن الملك
سوف يتخذه أسيراً،وكانت المسألة — ١٨٤٠
ليست أكثر من مجرد كذب مخجل.
فانطلق الامبراطور،وقام بالفرار
وامتطى ظهر حصان سريع،وتقدم
نحو الأمام—وكان فوفلFauvel اسم حصانه—
وسار مسرعاً بعيداً وكأنه الى فرح متجه
وسار بعيداً غير قادر على ضبط نفسه
وترك الجهاز والخيام خلفه
مثل انسان فقد عقله تماماً.
وخلف فرسين سريعين وقويين
—وفر وهو يائس بلا توقف. ١٨٥٠

مطاردته من قبل رتشارد وغي

وعندما علم الملك رتشارد بخبر فراره
لم يمكنه اللحاق به أو مطاردته
لأنه لم يرغب في أن يحدث خرقاً
للهدنة،ولم يكن لديه فرس يمكنه من الوصول
إليه،ومع ذلك،عندما سمع بفراره
لم يرغب له الذهاب بهدوء

من دون ثمن،وبناء عليه أمر بالتماسه
براً وبحراً،والبحث عنه
من قبل غلاييه، التي كانت تبحر تلك الليلة
نفسها،ومالبث أن وصل الى فيماغوستا
وتوجه الملك نفسه معهم الى هناك
وهوقلق وراغب في تسوية الأمور
وأخبر ملك القدس بوجوب
أن يتبعهم على طول الشاطىءوأن يسايرهم
ليرى فيما إذا بامكانه العثور على الخائن
هذا الامبراطور،هذا المعتدي الناكث
ليمينه الذي أقسمه.ودونما تأخير
انطلق الملك غي وأخذ طريقه
وبعد مسير ثلاثة أيام
وصل الى فيماغوستا،بدون شك
التي منها سكانها هربوا.
وهناك ألقى الملك رتشارد بمراسي
سفنه،وأمرهم بالمراقبة
بعناية البوابات،وأن يتشوفوا
حتى لايتمكن رجلهم من الفرار بلا عقاب

ويتخذ طريق نجاته عبر البحر.

وترك الغلايين حيث مضت

ولمدة ثلاثة أيام مكثوا في البلدة

رفض رتشارد التماس فيليب بالاسراع نحو عكا

في أثناء استمرار إقامته

١٨٨٠— قدم الى هناك رسولان من فرنسا.

أحدهما درو دي ميلو،هكذا قالوا

ومعه أسقف بوفياس

وقد جاءا باصرار لحث

الملك—وضغطا عليه ليتجنب

الإهانة—للاسراع بالذهاب الى عكا

لأن ملك فرنسا لن يزحف

للقيام بأي نوع من القتال

حتى ينال دعم رتشارد وتأييده.

وضغطا عليه وشددا،وحاولا

١٨٩٠— إيلامه وما كانا ليتوقفا

حتى أثارا غضب الملك

ورفع الى الأعلى حاجبيه

وتفوه بكلمات غير موائمة

لتكتب هنا وتدون

وعبثاً كانت المحاولة في حثه على الاسراع

وكانت الكلمات التي تفوها بها مجرد ضياع

وهو نفسه قام بعمل سريع

وبما أنه مع الاغريق بدأ

نصف ثروات روسيا لن يعبأ بها

١٩٠٠- وسوف لن ينعطف ليتجه نحو سورية

حتى يسحق القبارصة

الذين من جزيرتهم يمكن الحصول على ميرة كثيرة

ولن يتخلي عن مغامرته

حتى ينال عنها جائزته

ومع هذا سعى هذان السفيران

الى حثه للتخلى عن تقاعسه

الزحف نحو نيقوسيا

وهكذا،مع حشده المجتمع،هو

تحرك مباشرة الى نيقوسيا

وحمل كل واحد سلاحه،وكل واحد

١٩١٠- حمل من الطعام مؤونة كاملة.

والامبراطور الذي اختبأ قريبا من هناك

على الجيش الزاحف تجسس
وقاد الملك قوات الساقه،خوفاً
وخشية أن يأتيها الأذى من الخلف.
ثم من الكمين حيث اختبأ
قام الامبراطور بهجوم سريع
مع قوة سبعمائة رجل
الذين جبنهم سبب،ألماً محيراً.
فقد أرسلوا رماياتهم نحو رجال الطليعة
الذين تركوهم يتقدمون مباشرة
نحوهم،واشتبكوا معهم على الاطراف
ومثل توركبلي سريع ،ركب
الامبراطور،وبسرعة عدا
نحو الساقة التي قادها رتشارد
وباتجاه الملك رمى بنشابتين
كانتا قد غمستافي سم مخمر
واندفع الملك من وسط قواته
وكاد أن يأخذ انتقامه من
هذا الامبراطور الشرير الذي شعر بالخطر
لكنه كان ممتطياً فوفل السريع

وهرب بدون توقف على ظهر حصانه
مثل مهر عدا بأقصى سرعته
وعن ملجأ بحث،برعب شديد
في كانتارا،قلعته الحصينة
وحيث أن الملك لم يستطع أن يمنعه
توجه الى نيقوسيا مباشرة.

على الرغم من الامبراطور نيقوسيا تعلن الولاء لرتشارد

استولى رجالنا على عدد كبير من الخيول
القوية، وأسروا حشداً من
الاغريق-وكان بعضهم مجروحاً أيضاً-
١٩٤٠- الذين اقتربوا كثيراً من الجيش.
وزحفوا الآن وراء الملك
لايخشون من أي شيء
وهكذا وصلوا عند أول النهار
الى نيقوسيا،وهناك السكان
خرجوا مباشرة بارادة واحدة
وأسرعوا لدعوة الملك على أنه مولاهم
وبمثابة أب احترموه
شخصياً.وأمر بأن يحلق كل رجل لحيته.

١٩٥٠- ولدى سماع الامبراطور بهذا غضب غضباً عظيماً واكتأب
واقترب من الجنون،وأساء معاملة
رجالنا،ورجاله بطرائق غير لائقة:
من رجاله الذين أقاموا سلاماً
معنا،ومن رجالنا كل من استطاع أخذه
وحيثما كان بامكانه الامساك بهم
قطع أيديهم وبتر أرجلهم بوحشية
وجدع أنوفهم،واقتلع أعينهم
حيث لم يجد وسيلة للانتقام غيرها.
وفي الوقت نفسه تسلم الملك الولاء
١٩٦٠- من أكثر الناس جدارة ومن الحكماء
الذين عن طواعية تبرأوا
من الامبراطور،الذي كرهوه

استيلاء غي على كيرينا cerines *وأسره ابنة الامبراطور*

وانقسم الآن حشد الملك الى ثلاثة
أقسام ليعمل كل منها على حده
وبذلك ألقى الحصار على
ثلاث قلاع،واستولى بسرعة على اثنتين.
وتوجه أحد الجيوش نحو كيرينا

وكان الملك من وراء البحار هو الذي
تولى بنجاح القيادة هناك
فعلى مقربة من الحصن سلح أتباعه
وحاصره من جانبي البر والبحر
وحمل عليه حملات شديدة
وحيث أن الرجال في داخله افتقروا
الى التأييد والضمان،لم يستطع
المدافعون أن يفعلوا سوى الاستسلام.
ولهذا استسلموا وسلموا بسرعة وطواعية
القلعة الى الملك غي الشجاع
مع ابنة الامبراطور
الأمر الذي أخافه وآلمه إيلاماً شديداً
حتى أنه فقد شعوره وخرج عقله من رأسه
ولم يعثر على مواساة من أحد
وهكذا على البرج أعلام
الملك غي رفعت عالياً.
وفي القلعة مركز حراساً
والى ديوادامور قاد الجيش.

حصار ديودامور(قلعه القديس هيلاريون)

كانت ديودامور ذات حصانة عظيمة
حتى يمكن أخذها عنوة أو قتالاً
لكن الذين كانوا يدافعون عنها كانوا مذهولين
١٩٩٠ — ومخبولين جداً ومندهشين
بوساطة الأخبار التي رويت
إليهم،أنه من الصعب عليهم الصمود
والحفاظ،ومع ذلك قذفوا بين حين وآخر
بصخور عظيمة نحو رجالنا
ومع أنهم كانوا آمنين داخل
الأسوار،كان هؤلاء الناس مرعوبين
ومع رجاله حاصرها الملك غي
لعدة أيام،حتى الامبراطور
أعلن أنه لن يتابع الدفاع
٢٠٠٠— عنها،وأمر الذين كانوا بداخلها بالنزول.
وعندما استسلموا الى الملك
حسبما سمعت الناس يروون الأخبار
أعطيت الى الملك غي
الذي أمر بالاهتمام الزائد والعناية
بحراسة الفتاة في داخل البرج

حتى لايمكن سرقتها أو اختطافها
وابعادها.ثم قاد قواته عائداً
غير أنه وجد البلاد عالية التكاليف

استسلام الامبراطور

الملك رتشارد في نيقوسيا
٢٠١٠— رقد مريضاً يعاني من علة.
وعندما شعر بالمعاناة،توجه نحو
حصار قلعة بوفانتو Buffavento
وكانت حصنا واسعاً جداً وحصيناً.
وحكي هنا عن المغامرة الغريبة
للامبراطور المزيف،الذي
الذي جلبت له شروره نهاية مؤسفة
وإلى داخل أسوار كنتارا جاء
ليستسلم للحزن والعار
وعندما علم،أنه سقط في الشرك،
وبأن بوفانتو باتت مطوقة
وأننا قد اتخذنا أسيراً
داخل البرج ابنته،التي
أحبها أكثر من أي كائن حي

وجعله هذا متشوقاً لبذل الجهد
لإقامة سلامه،مهما كلفه ذلك
لاخراجه من ورطته وتخليصه
وكان الثمن محزناً ومؤلماً
وهو أن يفقد القلاع التي امتلكها
وكل ممتلكاته ومقتنياته
٢٠٣٠ — بسبب ظلمه وجوره.
وكان أعظم ماحدث له وأثر عليه
أن رجاله تخلوا عن قضيته.
وتحت ضغط الحاجة لم يتابع المقاومة
بل نزل من كنتارا وأخذ
طريقه الى الملك رتشارد مقدماً
نفسه،قانطاً من الحماية أو الوقاية.

لكنه التمس الرحمة من رتشارد

وما أن جاء الى هنا حتى بعث يلتمس
الرحمة من رتشارد،ووافق على أن يمنحه كل شيء،وأن يُحرم
٢٠٤٠ — من كل شيء،وأن لايترك لنفسه شيئاً
لاأرضاً ولابيتاً،أو قلعة في أي مكان
والذي فقط تمناه فضلاً منه هو

أن لايصفد بسلسلة من حديد
حتى توفر كرامته وهذا الألم الكبير.
واستجاب الملك فأمر بأن يصفد
بسلسلة من فضة،وبذلك أسكت
جميع الصرخات،فقد جثا على ركبتيه
وطلب رحمة والتمسها حسبما يتفضل
الملك، الذي رأى أنه كان مخلصاً
٢٠٥٠ — ورأى أغلاطه وخسارته بشكل واضح
ورأى أنه لم يعد يمكنه أن يفعل شيئاً أكثر لنا
وأن الرب شاء أن تكون الأمور هكذا
وهكذا، ولكي ينهي هذه المغامرة
جعل الامبراطور ينهض
وأن يجلس الى جانبه وعن يمينه
وأن يرى ابنته ويشاهدها.
وبرؤيته لها،كان سروره أعظم كمالاً
مما لو أمسك الرب من قدميه.
وبكى،وقبلها ثم زاد تقبيلها
٢٠٦٠ — أكثر من مئة مرة.لكن لماذا أحكي أكثر؟
فبوساطة خمسة عشر يوماً من التأخير

استولى الملك على قبرص كلها،والذي أقوله
لاشيء غير الصدق،للرب كل الشكر
يعطى،فقد غدت تحت سيادة الفرنجة

أسلاب قبرص

عندما حصل الملك على سيادة
قبرص،في سبيل الصالح العظيم للرب
استولى على القلاع والحصون الحصينة
التي طرد منها الاغريق ونفاهم
ووجد هذه الحصون مشحونة بالأشياء بدون حصر
٢٠٧٠ — وبكل نوع من الثروات والكنوز:
وبقدور من فضة،ومراجل،وأباريق
وبطسوت وأوعية من معادن ثمينة
وبأحواض وكؤوس وأكواز من ذهب
وبألجمة،وأسرجة،وبركابات
وبأحجار كريمة ذات أثمان عالية،وبأشياء
لها قدرة شفائية ضد المرض
وبأقمشة حريرية وأرجوانية ذات لمعان جميل
(مثلها أنا لم أر قط في أي مكان)
وأشياء أخرى ذات سمات
٢٠٨٠ — تليق بالنبلاء.
وكان في سبيل الرب وسبيل مملكته

أن استولى ملك انكلترا على هذه الاشياء وتملكها.
وأرسل الحشد الى ليماسول
وحث رجاله،وطلب منهم جميعاً
أن يستعدوا للابحار بسرعة
وألا يبددوا ساعة أخرى من الوقت.
وأمر بحراسة الامبراطور
من قبل الملك غي الشجاع جداً.
أما ابنته الشابة،والجميلة جدا،
٢٠٩٠ — والفتاة الرائعة ذات الحسن النادر
فقد بعث بها الى الملكة،حتى
تتولى تعليمها بشكل جيدولائق*.

---

*-كانت حوادث حياة هذه الاميرة التالية مثيرة وخيالية الى أبعد الحدود،فقد رافقت الملكة الانكليزية والاميرة في طريق العودة الى أوربا بعد انتهاء الحملة،وعاشت لسنوات عدة في شينون،وجاء اطلاق سراحها ضمن الشروط التي وضعها هنري السادس لاطلاق سراح رتشارد،لكن هذا لم ينفذ،وقبل قليل من عام ١٢٠٢ تزوجت من ريموند السادس صاحب طولوز،لكن مالبثت أن انفصلت عنه عندما رغب الامير بالزواج من جوانا بلانتغنت،وكانت في سنة ١٢٠٢ في مرسيليا عندما تجمع هناك حشد صليبي من أجل الحملة الرابعة،وقابلها صليبي فلمنكي من أقرباء بلدوين صاحب فلاندرز،وتزوجها مع نية المطالبة بوساطتها بعرش قبرص،وذهبا الى قبرص وطلبا العرش من الملك عموري دي لوزغنان،وحثوه على أن يعطيها إياه على أساس أنه ليس بحاجة إليه لأنه كان ملك القدس،وأخفقا في اقناعه،ورفض طلبهما،واضطرا وهما يشعران بالاحباط الى الفرار الى كليكيا الخاضعة للأرمن حيث اختفيا عن مسرح التاريخ.

وهكذا زحف الجيش الآن
عائداً الى الاسطول،وقام بكل سرعة
بتحميل السفن،حتى يمكنها
الاقلاع والابحار عندما يغدو كل شيء مناسباً وصحيحاً.
وبعدما صعدوا الى ظهور السفن،الاسطول
سار في البحر،في الساعة المقررة
وأبحرت الملكة أيضاً مع السفائن
٢١٠٠ — وجميع الدرمونات كانت هناك
وفي الجزيرة ترك الملك رجالاً
بارعين جداً في القتال،وإثر هذا بعث هؤلاء
الرجال إليه بالمؤن،وبحزم
القمح والشعير،وبالأغنام والأبقار
التي وجدت عندهم بوفرة كبيرة
والتي أفادت في سورية فائدة كبيرة.
وأخذ الآن رجال يجلبون عبر البحر
أخباراً،تولوا روايتها الى الملك
وتحدثوا فيها كيف أن أعمال الحصار بدأت بداية
٢١١٠— جيدة عند عكا،وما الذي يمكن حدوثه

قبل أن يصل،وقد قال:

« ليس من اللائق بدوني

أن يستولي رجل آخر على هذه البلدة»

ومنذ الآن قرر عدم البقاء أكثر

من الوقت الذي يحتاجه رفاقه

للتجمع هناك لمرافقته واصطحابه.

أنا لست أدري كم عددهم

الابحار نحوسورية

من فيماغوستا سفينة أخذ

٢١٢٠ — وأعطى الأوامر بتجهيز

غلاييننه. واتخذ هو نفسه مكانا

في سفينة قوية جدا، وكبيرة وواسعة.

مامن ميناء تحت السماء لن يكون

مرعوباً،ويعاني من الذهول

أمام سفن حرب بمثل هذه الروعة

ورجال حرب أشداء بمثل هذه البسالة.

انتبهوا، الغلايين تغادر الميناء

كلها لائق ومن أفضل الأنواع

وكان الملك كالعادة مشرقاً مسروراً

رشيقاً مثل ريشه،قاد الطريق
وسريعاً مثل أي غزال شرع
يعبر البحر وهو مسافر
ثم انه رأى المرقب،على طرف
بلاد الرب الحقيقية
ثم إنه رأى طرطوس من بعدها
مبنية على طرف البحر شديدة وللأمواج مقاومة
وجاز مسرعاً في طريقه
طرابلس،والبترون،وانفه
ورأى بعد ذلك جبلة
٢١٤٠ — ببرجها القائم فوق القلعة

سفينة مسلمة كبيرة

قرب بيروت،بلاصق لساحل صيدا
وباتجاه الملك كانت هناك سفينة
مشحونة برجال من جند صلاح الدين.
ومجهزة من قبل سيف الدين
فيها رجال من خيرة الترك،انتخبوا من
بين أحسن جميع المسلمين
ولم يكن بامكانها الدخول الى عكا ،ولذلك

أبحرت خارجها ذهاباً وإياباً
حتى يتسنى لها الدخول بأمان الى الميناء.
لكن الملك انطلق في سبيل تعطيل
خطة رجالها،وبسرعة ساق
غليونه،حتى وصل
الى حيث كانوا، فرأى مركبهم
كان عريضاً،وعالياً،وذا قدرة عظيمة
له أشرعة ثلاثة طويلة:إنه لم يكن
مركباً صنع وجهز بشكل سريع.
ومن قبل المسلمين كانت السفينة
مغطاة،من أحد الجوانب،بلباد أخضر
مع لباد أصفر،حسبما وصفوا
كان يغطي الطرف الآخر.
والسفينة كلها كانت هكذا
مفروشة مزينة كأنها عروس مجلاة
وكانت مليئة بالسلاح
بدون تعداد أو قياس :
وتحدث رجل وأكد ما فوق الاشاعة
(وهو كان موجوداً في بيروت

عندما وضعوا على ظهر هذه السفينة هذه
الحمولة نفسها ، لترسل بشكل معيب)
أنه رأى سلاحاً أودع في المخزن
حمولة مائة جمل وأكثر منه :
القسي والرماح والقسي العقارة والجروخ
(حزم ، ودواليب ، أو فتائل ، وعدّ ما شئت)
وثمانمائة من خيرة نخبة الترك
أرسلوا من قبل الشيطان للعمل لصالحه
والمزيد من الأطعمة والمؤن
مما يستطيع انسان أن يفصل أو يجمل
ومثل هذا في قوارير كانت هناك
نفوط ، تكلم الناس عنها كثيراً
وخزن في السفينة جانباً
٢١٨٠ — مائتي أفعى شريرة وسامة
(هكذا دّون ، وأخبر الذي
ساعد على وضعهم في الخزائن)
خططوا لاطلاقهم على
حشدنا ، ولتسبيب الفوضى ونشرها .

إثارة شكوك الانكليز

وجد ف غليوننا واقترب منهم كثيراً
حتى كاد أن يلامسهم
وقدم رجال غليوننا لهم التحية
ذلك أنهم كانوا لا يعرفون من يواجهون
وسألوهم من أين جاءوا
وما هو اسم أميرهم
وكان معهم مترجم فرنسي
وأعطوا جواباً بأنهم انكليز في طريقم الى صور
وريح ثارت وقتها من أرسوف عالياً
فساقتهم وأبعدتهم عن جانب الغليون
وكان على ظهر الغليون رجل راقب عن قرب
السفينة والبحارة ، ولاحظ كم
كانوا حريصين راغبين في التجديف
بعيداً ، فقال للملك : « إنه لواضح
يا مولاي العظيم ، وإذا أخطأت اشنقوني أو اقتلوني ،
٢٢٠٠— أنك تقابل خدعة تركية ، وبناء عليه
قال الملك : « أو أنت متأكد من ذلك »؟
« حقاً يا سيدي تمام التأكيد

أطلق الآن وبسرعة قصوى
غليوناً آخر يتولى المطاردة
وأصدر اليه الأمر بعدم تقديم التحية
لرجالهم . ثم انظر ما الذي سوف يفعلون
وفيما إذا كان إيمانهم مزيفاً أو حقيقياً
وأعطى الملك الأمر ، والغلايين
٢٢١٠ — أسرعت نحوهم ، لكنها لم ترمهم

مهاجمة السفينة

ولم يتمهلوا إلاّ قليلا في تعاملهم مع رجالنا
وشرعوا في اطلاق نشابهم
من القسي العقارة والقسي الدمشقية
وانقض الملك ورجاله على الأعداء
بهجوم سريع وفعال
وذلك عندما رآهم يرموننا
وقد دافعوا عن أنفسهم بشكل جيد
ورنت أوتار القسي وتساقط النشاب
أكثف من البرد ، وكان العراك
على الجانبين شديداً متواصلاً
وسارت سفينتهم بسرعة بطيئة ، بسبب ركود الريح

ووصل رجالنا اليها وحاذوها بسهولة
وغالباً ما أرادوا ، لكن لم يتجرأوا على الصعود
عليها ، كما أنهم لم يتمكنوا من سحق الحشد المسلم
وأقسم الملك يميناً مؤكداً،أنه آنذاك
وهناك،سوف يشنق رجال الغليون
إذا ماتوانوا أو ضعفوا،أو إذا
ماسمحوا للترك بالنجاة والابتعاد.
ومثل عاصفة انقضوا عليهم
٢٢٣٠— وبدون انتظار غاصوا في الماء
تحت السفينة،ومن الجانب الآخر
عادوا يسبحون،وبرشاقة ربطوا
الحبال التي كانت مشدودة الى مقود دفة
سفينة المسلمين،وبذلك كانوا يعطلون
المسلمين،ويسببوا انعطاف سفينتهم.
وبناء عليه تسلقوا عليها
ومباشرة تدفقوا على قلب السفينة.
ولم يقف الأعداء مكتوفي الأيدي،بل
٢٢٤٠ — انقضوا على رجالنا،لتقطيعهم وقتلهم.
ورجالنا الذين جرى اختيارهم

لهذه الأشياء،قفزوا بنشاط
الى داخل السفينة، في حين قطع المسلمون أيديهم
وأرجلهم،وألحقوا بناضرراً بالغاً

واغراقها

وقاتل رجالنا معركة كبيرة الى حد
أنهم ساقوهم الى داخل الميناء
والمسلمون الذين الى أبعد الحدود
خافوا الموت،قاتلوا بشكل يائس
وعلى شكل فرق صعدوا على ظهر السفينة
٢٢٥٠ — وأعدّت فرقة بعناية وقدمت
عساكر جديدة للمعركة الدائرة تقدموا
بصفوف جريئة،مسلحين بشكل كامل
وهكذا قاتلوا،وتبادل الطرفان الطعنات
والضربات العظيمة داخل مركب المسلمين.
وأقلع المسلمون بهجوم كان
قويا الى حد أنهم ردوا بحارتنا الى الخلف
لكن الذين كانوا في الغلايين أعادوا جمع
صفوفهم،وأقلعوا بهجوم جديد
وأخبرهم الملك بأن ينطحوا ويصدموا

٢٢٦٠ — السفينة حتى يخرقوها
ونطحوها مراراً،وهكذا خرقوها بشدة
حتى أنها خرقت في عدة أماكن.
وفتح قائدها ثغرة كبيرة في أسفلها
منهيا بذلك هذه المعركة الشرسة
وهكذا توقف المسلمون عن القتال
وقفزوا الى الماء عشرة بعد عشرة.
وقتل كل واحد من رجالنا منهم حسبما استطاع:
وكان بامكانكم أن تروا هناك ضربات عظيمة،وتعامل
الملك رتشارد بارادة
٢٢٧٠ — حادة ليدمرهم وليقتلهم.
وعلى كل حال،كان هناك خمسة وثلاثين
منهم أبقاهم على قيد الحياة
حيث كان بعضهم مهندسين جيدين
بارعين في الآلات،وبعض الأمراء:
وجرى اغراق البقية:فهكذا كانت نهاية
الفرس،والترك،والمرتدين.
ولو دخلت السفينة الى عكا،إنه لواضح تماماً
أن البلدة ماكانت لتسقط

ذلك أنها جلبت امكانات للدفاع هائلة

٢٢٨٠— لكن الرب،الذي يعين عباده،هكذا كانت مشيئته

ثم إن ملك انكلترا،جيد،وشجاع

في الحرب،ومغامر.

حزن صلاح الدين العظيم وأساه

المسلمون من فوق أحد التلال شهدوا

هذا الحدث الذي جلب لهم السوء.

وهم ممتلئون بالغضب والغم

أرسلوا خبر ما حدث الى صلاح الدين بذلك

وبما حدث،ثلاث مرات نتف لحيته لغضبه

ثم مثل رجل بلاوعي،قال:

٢٢٩٠— «يارب، الآن ضاعت عكا مني

ورجالي أيضاً،الذين ظننت أنهم بأمان

سببوا لي حزناً،صعب تحمله»

وصدر عن الجيش المسلم نواح عظيم-

وحكى الذين سمعوا ذلك ورووا-

بأن الترك نتفوا شعورهم

حزناً،ولثيابهم مزقوا

لأنهم في داخل هذه السفينة فقدوا

قادتهم والذين رعوهم كثيراً.

متابعة الاسطول ابحاره الى عكا

الملك،عندما هذه السفينة ذات القوه

وبحارتها استولى عليهم في القتال

كان متشوقاً للتحرك نحوعكا

والى ذلك الاتجاه حول مسار

غلاييننه جميعا في نظام جميل

وهي التي ربحت المعركة من السفينة.

وعندما مع اسطوله ساق نحو الأمام

الرب أرسل له ريحاً طيبة من الشمال

وهكذا أمضوا تلك الليلة أمام صور

وكان كل من الملك والعساكر راضين كثيرا

الملك النبيل،قلب الأسد

رأى في الصباح اسكندرونة

ثم جاز قلعة الزيب ،ثم مباشرة

ظهرت أمامه عكا ورآها

وزهرة العالم كله وجدها

معكسرة هناك،وملتفة حول بعضها بعضاً

ورأى الجبال والوديان

والسهول المفتوحة والتلال والمنخفضات
مكسوة بالسراقات وبالخيام
ورجال امتلأوا حقداً وضغينة وخشية
أن يلحق سوء بالمسيحيه
وكانوا يشكلون حشداً جباراً
ورأى خيام صلاح الدين
وخيام أخيه سيف الدين
وكان المسلمون قريبين جدا الى حد أنهم كادوا
يركبون أكتاف الحشد المسيحي.
تقي الدين،على الجانب الآخر
المحامي عن ديار المسلمين
حرس ساحل البحر والشاطىء
وعلى حشدنا شن حرباً مستمرة
وكان دوماً مستنفزاً وجاهزاً للقتال
وللهجوم علينا وارغامنا على التراجع.

رسو رتشارد عند عكا

ونظر الملك الى كل شيء،وتفحصه
وعمل خططاً،وخططاً عمل.
وعندما جاء لينزل الى البر،كان بامكانك

رؤية حشد البارونات العظيم كله
الذي جاء مع الملك الفرنسي لاستقباله
وبشوق عظيم رحبوا به وحيوه.
وكثير من الناس كانوا على الرصيف
لرؤيته.ووضع قدمه على الأرض:
وسمعت وقتها البوق يصدح
ليحيي رتشارد،الملك الذي لانظير له. —
والحشد المسيحي كله
كان سعيداً،لأنه جاء.
لكنه عندما جاء،الترك في داخل
بلدة عكا كانوا مرعوبين.
كان معه سفنا كثيرة،وقد عرفوا
أنه سيضع حداً ويوقف
خروجهم من البلدة ودخولهم إليها
وهو ماكان يسبب لنا الأذى والنكد
والآن الملكان جنبا الى جنب
ركبا معا وتسايرا طوال طريقهما. —
ودخل الملك رتشارد الى خيمه
وعلّمه بكثير من اليقظة

ما يمكن أن يكون السبيل المؤكد
للاستيلاء على عكا،بأقل تأخير.

بهجة الصليبيين وسرورهم

السرور كان عظيما وواضحاً تلك الليلة:
مامن ابن امرأة يمكنه قط ادعاء
رؤية أو معرفة مثل هذا الترحاب
الذي قدمه الحشد للملك.
فقد قرعت الأجراس وصدحت الأبواق
٢٣٦٠ — والنفر،والنايات،وبقية أدوات الموسيقى
وكان بامكانك رؤية أناس من كل نوع
وقد امتلأوا بالمرح والسرور يلهون هم
أنفسهم مع الموسيقى والأغاني
وحملة كؤوس يحملون الخمرة ويقدمونها
بكؤوس جميلة خلال الشوارع لجميع
الناس سواء أكانوا كباراً أم صغارا.
ذلك أن استيلاء الملك على قبرص،قد
جعل الجيش كله مسروراً
لأنه من هناك سوف ترد الأطعمة
لتبقي الحشد الهائل حياً

وامتلأالناس بالأمل وكانوا مسرورين؛
وكان الوقت مساء السبت
حيثما كان من الممكن أن تذهب أو تكون
أعتقد أنه ماكان بامكانك أن ترى قط
أضواء أومشاعل مثل التي أشعت
ولهذا بدت الأمور للترك
كأنها الوادي،جمعية بلا استثناء
قد أنير بنار مشتعلة
وعلموا أن سرورنا ومرحنا
٢٣٨٠— كان بسبب مجيء الملك
وملأوا الوادي بعرض عظيم
للقوات المقاتلة عندما جاء النهار:
هؤلاء القوم الكفرة،الدنسين القذره
هاجمونا،وقاتلونا حول خط خنادقنا
وأطلقوا النشاب،وأغاروا بدون توقف
على حشدنا،وعليه شددوا الضغط عن قرب.